بقلم: د. أحمد بكر عصلة*
الكويت

كل شيء هادئ، كلٌ يهب في الصباح إلى عمله، ويعود في المساء، يرتاح بعد العشاء، ويستعد ليوم آخر من العمل الشريف ... و"فتنة " أخت الحسن والجمال والبهاء ما تزال نائمة، لا تستيقظ إلا لهدف يسير ... تستيقظ لترشف قليلاً من الماء، أو لتتناول لقمة سهلة سريعة، أو لتقضي حاجة مما يقضيه الناس عادة بعد يسر الهضم وسريان الماء في الأجسام ... " فتنة " عاشقة للنوم .. الكل يصحو للعمل، وهي تتجه للنوم أبداً ... كل الأمور تتم في سهولة ويسر طالما أن "فتنة " نائمة ... " فتنة " الجميلة الرائعة ... " فتنة " التي ما رآها إنسان قط إلا أثاره جمالها، وشدته فتنتها، وسحره صمتها المطبق ... الكل مأخوذ بها، مكبر لها، ولكن الكل حائر لأمر صمتها ...

حين يعود " عبد الكريم الشاقب "، أبو فتنة " ويسأل عنها، ويعلم أنها نائمة، يهم بإيقاظها، لكن " زكية "، أم فتنة، تثنيه عن ذلك، وتقول : دعها، فالخير لنا ولها ولغيرنا أن تبقى هكذا ...

وحين يعود إخوتها وأخواتها يدفع الشوقُ كلاً منهم إلى إيقاظها رغبة في محادثتها، ولم لا، وهي أختٌ لهم على كل حال، ونومها هذا يثير فيهم الخوف عليها وعلى مستقبل جمالها أن يذهب النوم به ... لكن الأم "زكية " تمنعهم، وفي كل مرة تقول لهم: دعوها... دعوها ... فنومها عبادة ... لم يكن الأب أو أحد من الأولاد يفهم من كلام الأم خلاف ما يوحي به، فظاهر كلامها الخير للجميع ... ولكن " زكية "وحدها تعلم حق العلم ماذا سيحدث لو أن حياة " فتنة " تغيرت واستَبْدَلَتْ بالنوم الدائم صحواً دائماً ... هي أمها، وهي أدرى الناس بها، وبطباعها وأخلاقها، وبالأثر الذي ستتركه لو تغيرت ..

لكن حال فتنة هذه لم تعد تسر أحداً، آلمت الأهل جميعاً، حتى الأم، بل دفعت ببعض الأقارب إلى الشك في ذلك، ولربما شك بعضهم في الأم، وهي تمتاز إلى حد ما بنوع من الشدة في التربية، والقسوة في محاولة الإصلاح، مما جعل الخال "أحمد " يقول لها :

– أرجو أن لا تكوني أنت السبب في سلوك "فتنة " الغريب هذا ؟

* دكتوراه في الأدب العربي الحديث، باحث متخصص في المناهج والتأليف لدى وزارة التربية بالكويت، له عدة مؤلفات منها: الموت في الشعر العربي الحديث، ودراسات في أدب الحديث النبوي.

– أبداً .. هذه طبيعتها .. وهي مرتاحة لما تفعل ..
– اسمحي لي أن آخذها إلى طبيب يكشف عليها .
– لقد فعلنا ..
– وماذا كانت النتيجة ...؟
– كل شيء طبيعي ... جسمها ... عقلها ... أعصابها ...
– لا بد أن في الأمر سراً ...
– لا سر ولا مشكلة ... الأمر طبيعي جداً .. وقد تعودنا على ذلك .

ويمضي الخالُ غير مصدق ما يسمع ... وتبقى " فتنة " نائمة ... والإخوة والأخوات مشغولون بأعمالهم وشؤونهم ... لا شيء يتغير ... كل شيء على حاله، ولكن الجميع يفكر في شأن " فتنة " ... ويقررون الاجتماع عقب صلاة الجمعة بحضور الأخوال والخالات والأعمام والعمات ... وبعض كبار السن في الأسرة من ذوي الخبرة والتجربة...

لم يكن للمجتمعين من طلب سوى أن توقظ " زكية" ابنتها " فتنة " لمحادثتها ومساعدتها على الخروج من محنة النوم غير الطبيعي الذي تعاني منه، وتشجيعها بكل الوسائل الممكنة كي تصبح إنسانة طبيعية تمارس حياتها كسائر الناس ... كإخوانها وأخواتها على الأقل ... لكن الأم مانعت بشدة، وأصرت على رفض تدخل أي منهم في شأنها، واحتجت لذلك بأنه أمر شخصي جداً ويمس أسرار " فتنة " ...

الأب يستنكر موقف الأم بعد أن صدق الحاضرون ما ادعته، ولكنهم جميعاً رفعوا أصواتهم، وأيدوا رفض الأب واستنكاره . ولم تجد "زكية " أمام هذا الإصرار خلاصاً إلا أن تتراجع قليلاً، وتلين، قالت :

– إذا كان الأمر كذلك فسأفعل ولكني أحذركم من عاقبة فعلكم هذا ... أنا أدرى الناس بالذي سيحدث حين تصحو " فتنة " ...
– قال الأب : وماذا سيحدث ؟ تكلمي ... هل من سر فظيع تخفينه عنا ؟
– لا، ولكني أكتفي بتحذيركم .
– أهي مجنونة ؟
– لا
– أهي حمقاء خرقاء ؟
– لا
– أهي لصة أم مجرمة .. ؟
– ...
– أهي ابنتنا الشرعية أم لا ؟
– ...
– ألست أباها
– ...
– أليس هؤلاء إخوتها وأخواتها وأقرباءها ومعارفها ؟ أليس من حقهم جميعاً رؤيتها ؟ أليس من حقها هي رؤيتهم ومعاشرتهم ؟ لم تفعلين هذا ؟ ارحمي ضعفها... ارحمي ذلتها ...

وتخرج " زكية " من صمتها، تقاطع سيل أسئلة الأب، والتي لم تعد تجيب عن أي منها، وتقول:

– لقد حذرتكم... وسأوقظها ... ولكن قبل ذلك اتفقوا على سلوك معين للتعامل معها .

قال كبير الأعمام، وهو يكبر أبا فتنة أيضاً، موجهاً كلامه إلى " زكية " :

– ماذا تعنين ؟
– أعني أنها حين تصحو فعلاً ستحدث أمور غير طبيعية ؟
– مثل ماذا؟
– لا أستطيع أن أحدد، ويمكن لكل منكم أن يستضيفها أسبوعاً في داره .
– أهي خطرة إلى هذا الحد ؟
– لن أقول لكم شيئاً، أفضل أن تعرفوا كل شيء بأنفسكم .

ويرتضي الأهل جميعاً هذا الاقتراح، حتى بعض الأصدقاء عرضوا رغبتهم في المشاركة ... كلهم يحب " فتنة " ... كلهم يريدها ... ومن ذا الذي يرفض أجمل بنات المدينة في بيته ؟

وتصحو "فتنة " ... تصحو مع الصباح ... وتبدأ عملها طوال النهار ... ولا تكفيها الليالي ... إنها تسابق الزمن ... تسابق الأيام ... تريد أن تعوض ما فات ... أصبحت أيامها كلها عملاً وشغلاً ... لم تترك حين صحت بيتاً إلا دخلته ... دخلت بيوت أعمامها ... وبيوت أخوالها ... وبيوت كل قريب أو بعيد ... لم ترفض أي دعوة ...

حين صحت " فتنة " أصبح لها وجود في كل شرفة من الشرفات ... وفي كل ناصية من نواصي الشوارع ... وفي ظل كل شجرة ... وفوق كل سيارة ووسيلة نقل، لم تترك اثنين إلا صارت ثالثهم، صارت ثالث كل حبيبين، وكل زوجين، وكل صديقين، ولا سيما من دعاها ... عملت فتنة عملها، وفق ما تريد، وفوق ما تريد، وانتشر فعلها في المدينة كلها، بل جاوزتها إلى ما هو أبعد ؛ لقد تسللت " فتنة " إلى عقول كل من سأل عنها، أو أعجب بجمالها ... تحدث عن جمالها كبير فلاسفة المدينة، وهو كاتب معروف باتجاهه الحر، وبمكانته، وبتلاميذه الكثيرين، ولكنه حين رآها، سحره جمالها، أُخِذَ بها، وفكر في مطارحتها الغرام، واتخذ من الكتابة عنها وسيلة إليها، فاستجابت له، إنها لا تقدر جمالها ولا تصونه، فهي تبيح التمتع به لكل راغب أو طالب ... استجابت " فتنة " للفيلسوف، فوجد في مجالستها متعةً وسحراً، ثم نقل هذه المتعة وهذا السحر إلى تلاميذه ومعارفه، وكتب عنها غير مرة، فصارت معروفة خارج المدينة ... صار لها معجبون في كل مدينة ... أخذوا بها ... كتبوا عنها فصارت على كل لسان، وتطلع إليها الملوك والرؤساء، فاستجابت لهم من غير أن يزوروها، كانت المبادرة منها، ولم لا تفعل، وهي تحقق بذلك مصلحتها، وتنمي أملاكها، وتستثمر كل ما لديها من سحر وتأثير ...

تمكنت " فتنة "، في خلال مدة وجيزة من أن تكون أشهر أنثى في العالم، لأنها أخطر الإناث، وتملك أخطر سلاح .

حتى لقد قامت الحروب ولم يَقِفْها موقفٌ، و"فتنة " تنظر على ما يحدث سعيدة مغتبطة واثقة ... ولم لا ... وهي تمارس عملاً طبيعياً من أعمالها، وتؤدي دورها التي يجب أن تؤديه حين تصحو، أو حين تتنبه العقول إليها والقلوب...

لقد صحت " فتنة " حقاً، لم تصح بإرادتها، كانت حذرة قبل أن تصحو، وكانت تخشى على الدنيا وأهلها من سحرها القَتَّال، ولكن الناس هم الذين دفعوها إلى الصحو، وحرضوها على التنبه والخروج ...■

أشواق

شعر: مصطفى أحمد النجار
سوريا

بنفسي يا رب عيد الحجيج
أكحل عيني بأنوار بيتك
أمتع سمعي بآيات ذكرك
وأملأ صدري بفيض الأريج
أطوف مع الطائفين بروحي
أردد : لبيكَ .. لبيكَ

•••

بنفسيَ يا رب عرس التلاقي
على عرفات
تهلّ إليّ الرؤى
أمد يدي، شراع البصيرةِ..
أرجوك يا خالق الكائنات
فيوضاتِ عفوك
فيوضاتِ خيرك للعالمين

•••

فأرجوك يا خالق الكائناتِ..
النقاءَ، الثباتَ
وأرجوك أن تزهر الكلماتَ
بعرس هنا أو بعرس هناكَ
ترفرف في سماء القلوب
وتكتب في النصر : ما أعظمك!